أدونيس وغاندي وغيفارا

رشاد أبو شاور*

هـــل يحتاج أدونيس إلى أيِّ تعريف؟

إنّه الشاعر الكبير علي أحمد سعيد (أدونيس). وهذا يكفي؛ فقيمتُه الأدبية ـ الشعرية كبيرة، وحضورُه الفكري العاصف كبير. وهو مثيرٌ للجدل، وهذا شأنُ الكبار.

استوقفني واحدٌ من «مداراته،» التي يكتبها على صفحات جريدة الحياة، يوم ٤ / ٥ / ٢٠٠٦، وعنوانُه: «غاندي، لا غيفارا.»

قرأتُ المقالة التي بدأتْ مثيرةً من سطرها الأوّل: «أُعْجَبُ بشخصِ غيفارا، بحضورِه الجمالي، بحبّه للحياة والمرأة. غير أنّني لا أُعجبُ بالطريقة التي اتَّبعها في العمل التحرُّري.»

لن أقوِّل أدونيس ما لم يَقُلْ، وبالتأكيد لن أخبطَ ما جاء في مقالته، ولن أجتزئ بما يشوِّه ما طَرَحَه، حرصًا على جدية محاورته بموضوعية.

* ـ روائي وكاتب فلسطيني يقيم في عمّان

ولكنّ غيڤارا، يا أدونيس، ليس مجرّدَ شخصٍ ما!

إنّه غيڤارا· بلحيته الشهيرة ـ وهذه ليست رمزًا دينيّاً بل تعبيرٌ ثوريّ)؛ بـ «البيريهْ» على رأسه؛ ببندقية «الكاربين» التي قاتَلَ بها وجُرِحَ وهو في غمار المعركة، وأُسِرَ وقد تعطّلتْ بعد أن أصيبتْ برصاصةٍ في ميدان المعركة، وأَشْرف مندوبو الـ CIA على قتله، وبَتْر أصابعه وحَمْلِها إلى واشنطن للتأكُّد من أنّها لن تَضْغط على الزّنادِ بعد موته ـ وفي هذا الفعل الشنيع تخويفٌ لغيره من الثوريين الذين يسيرون على خطاه!

إنّه غيڤارا الذي تابعْنا معاركَه، وقرأْنا كتاباتِه بثوريتها الرومانسية

غيڤارا الذي قاتل مع كاسترو، ودعا إلى وحدة القّارة الأميركية اللاتينية، وغادر السلطةَ في كوبا (تأمّلوا انتكاساتِ بعض النماذج الثورية في بلاد العرب، وفلسطين خاصةً، التي تَدُوخُ شغفًا بالسلطة، وتتخلّى عن ماضيها وأفكارها لفرطِ أنانيّتها وانتهازيتها) ليفجِّر ثورةً على أرض بوليڤيا ـ التي تحرّرتْ هذه الأيّام، وانتخبتْ مورالیس الذي أَمَّمَ نفطَها وغازَها بطريقةٍ تذكّرنا بتأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس، ويَعْمل على إعادة ثرواتها إلى شعبها المسحوق الذي ضحّى غيڤارا لتحريره؛

غيڤارا الذي تُطِلُّ روحُه اليومَ في سماء القارّة التي تَنْفض الهيمنةَ الإمبرياليةَ الأميركية الشمالية عن أجزاء شاسعةٍ منها، مبشِّرةً بانتهاء زمن «جمهوريّات الموز» وحكّامها العملاء.

غيڤارا ليس شخصًا «ما!» فلو كان شخصًا ما، وسيمًا جميلاً، لما عرفناه. بل نحن عرفناه لأنّه فكرٌ وممارسةٌ؛ لأنّه روحٌ إنسانية نبيلة؛ لأنّه تجديدٌ في الفكر الثوري.

أمّا أنّه «يحبّ الحياة،» كما تقول، فهذا عائد إلى أنّه يحبّ الإنسانيةَ ويَكْره الظلمَ. ولهذا دعا إلى تفجير ثلاث فيتنامات في العالم لكنس الاستبداد الإمبريالي الأميركي، مناديًا بالأُخوّة الإنسانية، وبأن يُقْلِقَ أنينُ الضحايا وصراخُهم راحةَ جلاّديهم ومستغلّيهم.

...

تُعْجَب به، يا أدونيس، لأنّه «يحبّ المرأةَ»؟!

غيڤارا كان «يحبّ المرأةَ» ويحترمها لأنّه ثائر وكان يناصرها في التحرُّر لأنّ حضورَها الإنساني لا يتألّق ويتحقّق إلاّ بالحرية.

هناك ثوريون متخلّفون تعاملوا مع المرأة كجسد، كسلعة. وهؤلاء سَقَطوا في الميدان لأنّهم خانوا المبادئَ، والشعاراتِ، وكُلَّ ما ادّعوا التضحيةَ لأجله.

لا يكفي أن يكون إنسانٌ ذا «حضورٍ جماليّ» و«حبٍّ للحياة والمرأة» حتى يحظى بإعجابنا. ولذا اسمحْ لي، يا أستاذ أدونيس، أنْ أَخْبرَكَ بأنّ ملايين البشر ما زالوا يَرْفعون صورةَ غيڤارا، ويمشون تحتَها في التظاهرات التي تدين العدوانَ على العراق وامتهانَ حقوق شعب فلسطين. يَفْعلون هذا لأنّ غيڤارا **ثائر**، لا بسبب وسامته «وحبّه للمرأة» (كثيرون يحبّون «المرأةَ» يا أدونيس، ولكنْ ليس كلُّ محبٍّ لها غيڤارا!)

...

تقول: «... تحرريّاً، أفضّل غاندي. رؤيةً، ومنهجًا، وممارسةً...»

اسمحْ لي أن أداعبَك قليلاً، وأنا أَعْرف ميْلَكَ إلى الفكاهة، فأسألك:

هل غيڤارا وغاندي طَبَقانِ يُعْرضان عليكَ لتختار، مُفاضِلاً بينهما؟ «أفضّل غاندي بالمايونيز من فضلك!» هكذا تُخْبر النادلَ المنحنيَ قليلاً، فيبادر مبتسمًا إلى استرجاع قائمةِ الطعام من يدك، ليعودَ إليك بعد قليلٍ بطبقك المفضّل. «غاندي» مع المقبِّلات!

تقول: «تحرريّاً، أفضّل. .»؟!

يعني أنت تفضّل أسلوبَ غاندي السِّلْمي، لا أسلوبَ غيڤارا العنفي! وهذا حقُّكَ. ولكنّك، كشاعر ومفكّر حرّ، تؤيّد الكتابةَ **بكلّ** الأساليب، ولا تَحْصر أيَّ مبدعٍ في أسلوبٍ كتابيٍّ بعينه وهذا يُمْكن أن ينطبق على الثورات أيضًا: فالشعوب تَكْتب نصوصَها ومسيراتها بما يناسب طبيعتَها، وأهدافَها، وخبراتِها. وهي تطوِّر من «كتابتها» كما يَفْعل الشعراءُ والمبدعون، بدليل أنّها تتعلّم في ميدان الممارسة، مستفيدةً من تجاربها بما يرتدُّ نفعًا عليها.

تجربة غاندي نجحتْ في الهند فقط (حتى الآن)، وتجربةُ غيڤارا نجحتْ في كثيرٍ من بلدان العالم وقاراته: في الصين من قبل، وفي ڤيتنام، وفي كوبا، وفي جنوب لبنان الذي مازال مفتوحًا على احتمالات استئناف المقاومة بالعنف الثوري (السلاح) وفي فلسطين بَذَلَ الشعبُ الفلسطيني الكثيرَ حتى يتخلّص من الانتداب البريطاني، وها هو يخوض معركتَه بالسلاح منذ عشرات السنين، يعني قبل غيڤارا، ثمّ ليدخل في خيار «السلام» فيفقدَ الأرضَ ولا يفوز بالسلام، إذ هناك مَنْ يتحدّث وينظِّر للحوار مع «الآخر،» الذي هو تسميةٌ تضليليةٌ للعدوّ الذي لم يأخذ فلسطينَ بالإقناع والجدل بل بالقنابلِ والإبادة.

..

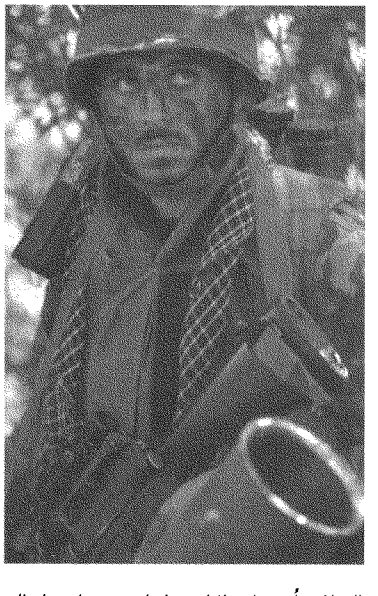

بقوة السلاح طُردت إسرائيل من لبنان، وشبعا تنتظر التحرير!

تقول يا أدونيس إنّك تَرْفض العنفَ بأشكاله جميعًا، مهما كانت أهدافُه، مهما كانت مسوِّغاتُه، سواء كان فرديّاً أو جماعيّاً.

وأنا معكَ في رفض العنف... مع اختلافٍ غيرِ بسيط، هو أنّني لا أَرْفضه **بكلّ** أشكاله!

فأنا أرفضُ العنفَ بما هو ظلمٌ، أو اعتداءٌ على الآخرين وعلى حقوقهم وممتلكاتهم. ولكنّني بالتأكيد مع حقّ المظلوم في أن يدافع عن نفسه، وأن يردّ الظلمَ. وهذا لن يتّم بالإقناع: فحتى السيّد المسيح، بكلّ تسامحه، اضطُرَّ إلى أن يَحْمل السوطَ ويطردَ التجّارَ والسماسرةَ من «بيت أبيه.» ولستُ أحسبُ أنّك أكثرُ تسامحًا من السيّد المسيح!

ما أهميةُ أن تقول للفلسطينيين، مثلاً، إنّك ضدُّ كلّ أشكال العنف؟ ماذا يغيِّر هذا في وضعهم؟ بماذا يسلِّحهم فكريّاً؟ أتراك تقترح عليهم إنجابَ غاندي مِنْ بينهم، والسَّيْرَ وراءه مطالبين شارون، وموفاز، وبيرس، وباراك، ومِنْ قبلِ هؤلاء بيغن، وشامير و .. بأن يكفّوا عن الاستيلاء على أرضهم، وقتلِ أطفالهم، واقتلاعِ أشجارهم؟

ما فعله غاندي في الهند في وجه بضع عشراتٍ من ألوف الجنود والموظّفين الإنكليز قد لا يناسب فلسطينَ، التي فيها استعمارٌ استيطانيٌّ يقتلع مجتمعًا من أرضه، ويَزْرع تجمّعًا يُجْلب من أطراف الدنيا في مكانه، و .. بالعنف، الذي لا يَخْفى على إنسانٍ عربيٍّ في مستواك!

...

تكتب في مقالتك: «ثمّ إنني أفضّل، في كلِّ عملٍ تحرّري، أن يشارك الشعبُ **كلُّه** في النضال، لا أن يَقْتصر هذا النضالُ على مجموعةٍ من الأفراد، أيّاً كانوا.»

يا ليت يتمكّن «كلُّ الشعب» من المشاركة في النضال!

هذه تعميماتٌ يا أدونيس العزيز.

تسألني كيف؟

أنت تَطْرح فكرًا. والفكرُ لا قيمةَ له إنْ لم يكن مسخَّرًا لنفعِ البشر، للممارسة، ليتحوّل من كلامٍ إلى فعلٍ وتطبيق.

أنظرْ مثلاً إلى حال الشعب الفلسطيني. إنّه ليس في مكان واحد، لأنّه طُرد من أرضه بالعنف العدواني، واقتُلِعَ اقتلاعًا بالطائرات والدبّابات الأميركية، والبريطانية، والفرنسية، والتشيكية، والألمانية ـ هذه الأخيرة جزءٌ من التعويضات التي قدّمتْها حكومةُ المستشار أديناور إلى الحركة الصهيونية، بالإضافة إلى ميارات من الماركات. فتشرَّدَ في الأقطار العربية المحيطة بفلسطين، وبقي بعضُه تحت الاحتلال، وتمزّقتْ أرضُه (أراضي ٤٨، وقطاع غزّة، وضفّة غربية) فبالله عليك، قُلْ لي: كيف سيجتمع «**كلُّ**» الشعب الفلسطيني ليناضل معًا؟!

ثمّ أين في تاريخ البشرية هَبَّ شعبٌ دفعةً واحدةً، في ساعةِ «صِفْرٍ» شديدةِ الدقّة، واتفق بغتةً ومن دون تمهيدٍ وإعدادٍ على أهدافٍ ووسائلَ وبرنامجِ تحرُّر؟ حتى الانتفاضات الكبرى ككومونة باريس

الغيفارية تتجدّد في أميركا اللاتينية عبر تشافيز وموراليس وغيرهم

ما كانت لتحصل لو لم تكن هناك طليعةٌ ثوريةٌ، وشرائحُ اجتماعيةٌ لها مصلحةٌ في الثورةِ والتغييرِ وإسقاطِ الباستيل... أيِّ باستيل.

إنّك يا أدونيس تنفي الصراعاتِ الاجتماعيةَ والطبقيةَ، أو تقفز عليها، وتنظِّر لمجتمع يتكوّن من شريحة واحدة، بمستوى عيشٍ واحدٍ، بمصلحةٍ واحدة وهذا، بحسب معرفتنا، لم يحدثْ حتّى في المجتمعات البدائية التي كان أفرادُها يَحْسمون صراعاتِهم بقدراتهم الجسدية، أيْ بالقوة، ولتتحوّل هذه القوةُ إلى امتيازاتٍ وممتلكاتٍ وهيمنةٍ وأَتْباعٍ وظلمٍ يَدْفع إلى التمرّد والمقاومة.

«غيڤارا: عصبة، طبقة، فئة، طليعة.. إلخ، تمارس العنف. غاندي: الشعب كلّه، في تنوّع فئاته ووحدتها، مسلَّحًا بالسلام **والانفتاح على الآخر**.»

ثمّ تصل بعد المقارنة بين غيڤارا وغاندي إلى القول الفصل: «مع أنّنا، ثقافةً وممارسةً، أقربُ إلى غيڤارا منّا إلى غاندي، فإنّني ممّن يقولون لسنا في حاجةٍ إلى غيڤارا؛ نحن في حاجة إلى غاندي .»

أدونيس يَقْصدنا نحن العربَ، وبالتحديد عرب فلسطين والعراق ولبنان، حيث في هذه الأقطار مقاومةٌ، وعنفٌ ضدّ عنف الاحتلال، وحيث تتحدّى القوى الباغيةُ المعتديةُ كلَّ الشرائع الدولية، وتفبرك الأكاذيبَ تسويغًا لعدوانيّتها.

من العاصمة اللبنانية بيروت طُردتْ قوّاتُ الاحتلال «الإسرائيلية» بقوّة السلاح، ولوحقتْ على أرض الجنوب، وهَرَبتْ من صيدا وصور. ثم تحقَّقَ الانتصارُ المؤزَّرُ بقيادة حزب الله في العام ٢٠٠٠، وما زالت بعضُ الأراضي هناك (مزارع شبعا) تنتظر التحرير، وما زالت الأصابعُ على الزناد فالعدوّ غالبًا ما يَخْرج من الباب ليعودَ من الشبّاك، بسحْنةٍ محلية، وبلغةٍ محليةٍ تتباكى على الوطن. وياما أُجهضتْ ثوراتٌ، وأُفشلتْ حركاتُ تحرُّرٍ بهذه الأساليب (هل يغيب عن نظرنا ما يجري في فلسطين راهنًا، بعد الانتخابات التشريعية التي عَصَفتْ بالفساد وفَضَحَتْ مسيرةَ سلام أوسلو؟)!

نحن لا نفاضل بين غيڤارا وغاندي، لأنّنا ـ كعرب ـ في حاجة إلى **كلّ** أساليب المقاومة للتحرر من الاحتلال؛ وأرقاها: أسلوبُ العنف الثوري الذي يعيد صياغةَ حياة مجتمعاتنا.

أسألُ أدونيس: أأنت متأكّد أن «كلّ» الأمة الهندية سارت وراء غاندي؟ فالحقّ أنّه لا يوجد إجماعٌ في أيّ بلد، وأيّ أمة، على أمرٍ واحد. هذا وهمٌ، أو تضليلٌ، لا غير

فالهند، وهي تستقلّ، تشقّقتْ، وخَرَجتْ منها باكستان. وغاندي قتله هندوسيٌّ متطرّفٌ رافضٌ لإنسانية غاندي ولتآخيه مع الهنود المسلمين وغيرهم وأثناء مسيرة غاندي، وُجد مَنْ يتحالف مع الإنكليز، ومَنْ يتآمر معهم على بلده وأمّته.

نحن لسنا أمام الخيار بين غاندي وغيڤارا. نحن أمام احتلالات تدمّر وطنَنا العربي، وتعيده إلى زمن الطوائف. فهل الاحتلالُ هذا مجرّدُ «آخر»؟ هل قوّاتُ بوش وبلير «آخر»؟ وهل المجلوبون من أميركا وأوروبا ليحتلّوا بيتَ الفلسطيني وحقلَه «آخر»؟

اسمحْ لي أن أقول لك بأنّ العدوَّ شيءٌ، وأما «الآخرُ»... فشيءٌ آخر!

العدوّ هو الذي يحتلّ أرضي، يعتدي على إنسانيتي، يستولي على بيتي وحقلي، يشرّدني بالقوّة، مردِّدًا أنّ هذه ـ فلسطين ـ أرضُ أجداده قبل ألفيْ سنة، وأنّه «يعود» إليها.

ومع ذلك يراد منّي أن أعتبره «آخرَ،» وأن أعتبره تقدُّميّاً ويساريّاً إذا ما أبدى شيئًا من الشفقة على أوضاعي وصعوبة حياتي المعيشية ـ أنا العربي الفلسطيني ـ وأن أحاورَه، وأجلسَ معه... فقط لسببٍ واحدٍ، وهو أنّه يستقوي بما لدى دولته من أسلحة: دولتِه التي تَرْقد على عشرات الرؤوس النووية، دولتِه التي تقوم على وعدٍ إلهيّ دينيّ أصوليّ مُغرقٍ في التعصّب، ذلك الوعد الذي ما كانت له قيمةٌ أو جدوى لولا وعدُ بلفور والانتداب البريطاني الاستعماري.

كيف يكون الحوارُ، واللاعنفُ، والغاندية مع هؤلاء؟

ألا ترى كيف يَقْتلون ويَجْرحون المتظاهرين الفلسطينيين والأجانبَ المتعاطفين، ويَخْنقون النساءَ والأطفالَ بقنابل الغاز، علمًا أنّهم يحتجّون **سلمياً** ضدّ جدار النهب المدان في محكمة العدل الدولية في لاهاي؟

ألم يقتلوا الشابةَ الأميركيةَ رايتشلْ كوري بأنياب الجرّافة وهي تتضامن مع الفلسطينيين؟

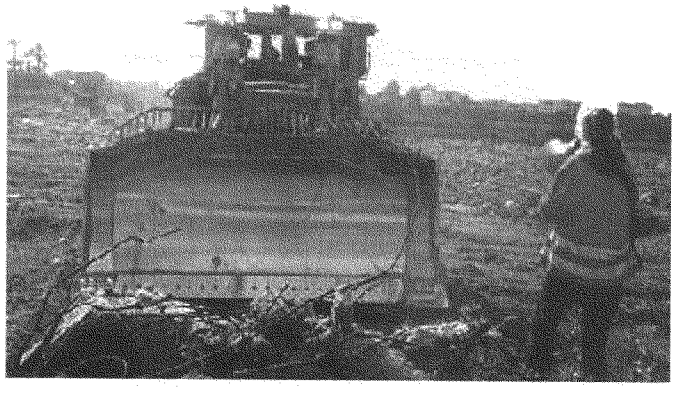

كيف يكون اللاعنف؟ ألم يقتلوا رايْتشل كوري بأنياب الجرّافة؟

عن أيّ غاندي، يا أدونيس، تتحدّث؟

ثمّ تذهب إلى ما قد يكون الهدف من المقالة المكتوبة في هذا الوقت:

«لقد أثبتت التجربةُ أنّ مثالَ غيڤارا كان طريقًا مَلَكيةً لتهديم طاقاتنا، لتخريبِ حياتنا، لتبديدِ ثرواتنا، لفشلِنا، ولتشويهِ وجودِنا وحضورِنا في العالم »

يا!!!!!اه،! أكلُّ هذا جَنَتْه علينا الغيڤاريةُ؟!

لا يا أدونيس! الذين جَنَوْا علينا هم مَنْ قَسّموا بلادَنا. وأذكّرك بهم: فرنسا وبريطانيا، ومِنْ بعدِهما أميركا، ثمّ الربيبة «إسرائيل.»

والذين جَنَوْا علينا هم مَنْ كرّسوا تقسيمَ بلادنا، المتحكّمون بشعوبنا العربية المنتمية إلى أمةٍ واحدة. وهؤلاء لهم مصلحة في تخلّفنا وفرقتنا.

الذين جَنَوْا علينا هم مَنْ استحوذوا على الثروات التي شاءت الأقدارُ أن «تَنْبع» من تحتهم وهم يَبْركون في الصحراء، بالمصادفة. وتلك العشائر صارت دولاً شتّى، وارتبطتْ «دولُهم» بناهبي ثرواتِ الأمّة التي تحميهم من شعوبهم ومن غضبِ وقهرِ وجوعِ عربٍ محرومين توّاقين إلى الحرية والعدل.

الغيڤارية، كما تَقْصد، وكما هو واضح من خطابك يا أدونيس العزيز، هي المقاومة. وهنا أذكّرك بأنّ المقاومة حَرّرتْ تونس، والجزائر، والمغرب، واليمن، ولبنان (إلاّ شبعا)، وأنّها تَحْشر الإمبرياليةَ الأميركيةَ في ورطةٍ لا مخرجَ لها منها في العراق، وأنّها تتأجّج في فلسطين رغم كلّ مؤامرات خنقها وانكشافِ زيف الشعاراتِ الديموقراطية... التي فضحتْها نتائجُ الانتخابات التشريعية الفلسطينية، التي أَسقطت الفسادَ، وحشرتْ مسيرةَ أوسلو في الزاوية

عندما اقتحمت القوّاتُ الأميركيةُ بغدادَ يوم ٩ نيسان كتبتُ أنّها قد تكون نهايةَ الإمبراطورية الأميركية. ولعلّ هذا أدهشَ بعضَ الأصدقاء في لحظة اليأس تلك لكنّنا ها نحن نعيش ونرى أنّ نهاية «إمبراطورية الشرّ» ستكون بتضحيات العراقيين مهما عظمتْ، وبمقاومتهم الباسلة.

مأزقنا الذي نحن فيه كعرب تَكَرّسَ في كامپ ديڤيد وأوسلو ووادي عربة. تكرّس في خيار «السلام» الذي ما فَتِئتْ تروِّج له نُظُم الفساد، والخرابِ، والتفتيتِ، والاستبدادِ، وثقافةُ التضليل بكلّ تجلّياتها.

..

وبعد تقول «إنّ السلاح منذ يَلْبس رداءَ العنف ينقلب إلى عدوٍّ للحرية نفسها، يصبح نوعًا من العدوان على الذات والآخر، معًا...»

يبدو أنّك يا أدونيس نسيتَ، أو أنّكَ لم تقرأْ، دراساتِ أحد منظّري الثورات في القرن العشرين، الدكتور فرانتز فانون، الذي توقّفَ عند فكره مطوّلاً إدوارد سعيد.

فانون يا أدونيس مثقفٌ مارتينيكيٌّ انحاز إلى الثورة الجزائرية، وكَتَبَ من خلال تجربته الميدانية في

الجزائر، من داخل مجتمعها وثورتها: **معذّبو الأرض وسوسيولجية ثورة**. ليتَكَ تقرأه لترى كيف اكتشف طبيبُ الأعصابِ النبيلُ هذا أنّ الثورة هي التي تحرِّر المجتمعَ والأفراد من أمراضهم، وعُقَدِهم، وبؤسِ حياتهم، وتحقِّق لهم التوازنَ النفسيّ واحترامَ الذات، وتفجِّر القوى الكامنةَ في روح المجتمع.

هل لديك فكرةٌ عن الأمراض التي يعانيها أطفالُنا في فلسطين بسبب جنود الاحتلال؟

بسبب المداهمات الليلية لجنود «الآخر» المتحضِّرين القادمين من ثقافةِ الغرب وحضارته؟

هل تَعْرف أنّ نساءنا يَلِدْن في السجون الاحتلالية؟

ماذا كان يقترف النازيُّ الهتلريُّ أكثرَ من هذا؟!

...

تَصرْخ يا أدونيس: «لا سلاح للحرية إلاّ الحرية ـ إلاّ السلام.»

يعني شو يا أدونيس؟

قل لي: كيف تتحقَّق الحريةُ في فلسطين، في العراق؟!

الحرية تُنْزع، تؤخَذُ ولا تُعْطى، لا يَهبُها لك أيُّ «آخر» خَلْطُ الكلام لا يَنْفع العباراتُ الباهرةُ تزول ما إنْ توضع أمام المساءلة ـ وهذا ما يَحْدث للعبارات التي تسوِّقُها مغطّاةً بالتفجّع على حالنا، وعلى «الآخر.» أيُّ آخر!

هل تقول الغيفاريةُ بالتوريث في بلاد العرب؟ هل تبارك النهبَ والسرقةَ؟ هل تبرِّر مراكمةَ أرقام عوائد النفط في البنوك؟ هل تبرِّر حرمانَ الشعوب من تحويل تلك العوائد إلى صناعاتٍ تنهي البطالة، وتمكِّننا من اللحاق بالدول المنتجة، وتُنهي كونَنا عالةً، نستورد، نَبْذخ، نبذِّر (لسنا نحن مَنْ نَفْعل ذلك بالطبع، بل العربيُّ السفيهُ الذي تَعْرفه، والذي يَجْلب لنا العارَ والخزيَ بسلوكه المنحطّ في بلاد «برّه»!)؟

الغيفارية مقاومة. أُنظرْ إليها تتجدّد في أميركا اللاتينية، وتَكْنس الهيمنةَ الأميركية اليانكية. إنّنا نصغي إلى أصوات شعوبها عبر حناجر كاسترو، وتشافيز، وموراليس، وغيرهم من ثوّارها البواسل. ولذا احترمناها وما زلنا. فنحن جزء من الإنسانية، وغيفارا مثلُ هوشي مِنْه، وماوتسي تونغ، وماندلا، وغاندي، ومَحاضر محمّد، ومعلِّم تشافيز، وموراليس. هؤلاء هم «آخرُنا،» لا بوش، وبلير، وبقيةُ تجّار الحروب. ونحن طبعًا لا نَأْخذ شعوبَهم بجريرتهم، ولذا نصغي جيّدًا إلى روعة ونبل مواقفها، ونَأْخذ من ثقافتها بجوانبها المشرقة التي هي ملْكٌ لها وللإنسانية جمعاء.

...

أتوقّف أمام هذه الجملة التي تبدو لي مفيدةً جداً: «لم نكن أسيادًا على حياتنا طوال هذه الفترة ولم يكن وجودُنا إلاّ كمثلِ كرةٍ يدحرجها الآخرون!»

نعم، هذه جملةٌ مفعمةٌ بالصواب: نحن كنّا، وما زلنا، كرةً يدحرجها الآخرون. وهؤلاء الآخرون المستعمِرون هُمْ جحيمُنا ـ

نهاية «إمبراطورية الشرّ» ستكون بتضحيات العراقيين ومقاومتهم الباسلة

بالإذن من سارتر ولذا يتوجّب علينا، ذَوْدًا عن إنسانيّتنا، أن نوقفَ الآخرين عن دحرجتنا، بأن نكفّ أقدامَهم عن مواصلة اللعبِ بنا كأنّنا كرة، وعن مواصلة تدويخنا، وإفقادِنا اتّزانَنا فلنُنْهِ هذه العلاقةَ بين أقدام اللاعبين ورؤوسنا! إنّها لعبةٌ دمويةٌ، إجراميةٌ، لا تكافؤ فيها ولا رحمة، ولا أخلاق، ولا إنسانية

فما العمل يا أدونيس العزيز؟!

...

تسأل نفسك. «من أنت، أيها العربي الذي يَسْكنني؟»

وأنا أسألُك: ما العمل الذي يُنْقذ العربيَّ الذي يَسْكنَ أدونيس؟ ما العمل الذي يَسْكن «عربيَّنا»؟ ما هو دورُ الشاعر والمفكّر؟

أسألك: لَمَنْ كتبتَ هذه المقالةَ يا أدونيس؟ إنْ كنتَ كتبتَها لنا، فهي لن تَدْفعَنا إلى التخلّي عن المقاومة التي يحاربها بوش وبلير وأتباعُهما في بلاد العرب.

غيفارا وغاندي ثائران كلاهما الفرقُ بينهما هو في الأسلوب، في اختيار الوسيلة المناسبة. إنّهما مقاومان عنيدان، وهما مَيَّزا بين العدوّ والصديق: بين مَنْ يحتلّ القارةَ الأميركيةَ اللاتينية والهندَ، ومَنْ يؤازر شعوبَهما ويتعاطف معها

الخَلْطُ يناسب مَنْ يتقاعسون عن خوض معارك حريّتهم حتى النهاية، مَنْ يحسبونها نفعًا شخصيّاً، مَنْ لا يختارون الأدوارَ الفادحةَ التكلفةِ.

كان غاندي يردِّد: «فَلْتَهُبَّ على بيتي المشرَّعِ النوافذِ كلُّ الرياح، ولكنّها لن تَقْتلعني من جذوري »

المقاومة، أيُّها العزيز، هي دفاعٌ عن الجذور، عن الأرض التي تَنْبت فيها هذه الجذورُ، عن أصحاب الجذور، عن ثقافة الجذور والمثقّف الذي لا يخوض معركةَ الجذور، بل ينشغل بـ «الآخر» البعيد، يَنْبتُّ ويَخْسر دورَه، بل لن تَضْرب جذورُه في أرض «الآخر» نفسه، وسيبوءُ بالخسارة مهما «أُجيز.»

وأَحْسب أنْ لا جائزةَ، مهما بلغتْ قيمتُها الأدبيةُ والمعنويةُ والماديةُ، تعوِّض المثقّفَ عن دوره العضوي في بلادِ جذوره التي تخوض معركةَ وجودها وبقائها وانتمائها إلى الإنسانية.

عمّان